مصرع إنسان مقاربة مكانية

أ.د. مكي عمران راجي
كلية الفنون الجميلة ــ جامعة بابل

يلقي هذا العمل بحمولته الجمالية, والتي بثت بنيويا بمستويين:

والمستوى الأول:

يتناول التمظهر المادي ,ممثلا بالبنية الداخلية (المشيئة), والتي شكلت معطيات المغامرة الجمالية تشكيليا,بمستوياتها العديدة-(عناصر تكونيه وانظمه تكوينية,وفعل تقني).

أما المستوى الثاني:

متمركز حول البنية الاتصالية (الخارجية) ,والتي تشي بحمولتها الدلالية ضمن سياق تشفير (عقائدي-اجتماعي)

متشكل ,بؤرته الحدث المأساوي لوقعة ألطف الشهيرة.

وهذا يشكل الوعي الجمالي , للعمل الفني , وهو وعي كمن في لا وعي المتلقي , حامل القاموس الدلالي والشفرة الديني بأبعادها ومستوياتها المختلفة.

إن العمل الفني بصيغته الظاهرة بوصفه رمزا حسيا متجسدا نجده وعائيا يحاول الإمساك بدراما (عاشوراء) من خلال المنظومة العلامية , والتي لا تبتعد كثيرا عن مرجعيتها الأيقونة الراكزه في الوعي , واللاوعي الجمعي للمتلقي (المستقبل)للشفرة مسبقا.والتي تناولتها الكثير من الأعمال الشعبية في طقوس عاشوراء بصورة

أعمال رسموية ومشاهد تمثيل ذات طابع تشبيهي ويصطلح عليه (بالتشابيه).

وعلى صعيد البنية المكانية, تم استبدال مكان الواقعة بأرضية اللوحة البيضاء,هذه الإزاحة اللونية لأرض الوقعة بيئيا من رمال وأتربه وماء شكل ركيزة في دراما العطش باتجاه لا لون أو نحو الفضاء اللانهائي, يوسع من دائرة الانفتاح دلاليا من خلال ابتعادها عن الدلالة المطابقة بمرجعيتها التماثلية , نحو دلالة تقترن تأوليا

(بأرض طهر-ارض بكر -أعدت للشهادة)أنها الصفحة البيضاء والتي لوثتها آثام قاطعي الرؤوس والأكف.

والألوان الداكنة تجسيدها, وهي تحاول أن تنزع البياض من أرضية مسرح الجريمة البشعة ,لتكون وجودها المادي بصورة كتل صلدة , قاسية شكلت البؤر المتناقضة تكوينيا ودلاليا بتناقضها الصارخ مع الأرضية البيضاء والعلامات الأخرى.

إن موقع الحادثة ,متخيل لا يمت بصلة بالمرجعية الجغرافية أو (الطبوغرافية),ولنقل مكانا فنيا ابتدعه الفنان ليكون مسرح الحدث الجمالي,مثلما أوجد بيكاسو (جورنيكا) الواقعة الفنية بحمولتها الدرامية والجمالية معا,

بعيدا عن واقعها الجغرافي والعلامات المكانية المفترض حضورها , والمعدات الحربية المستخدمة في تدمير المدينة وقتئذ.

عند تحليل المعطيات الجمالية للمكان بمستوياته وأنماط تمثيله نجد ما يأتي:

١ــ موقع المكان:

غير متعين أي مكان فاقد لهويته الجغرافية والزمانية, وهذا يذكي الفعل ألتأويلي لأتساع المكان لتوسيم (زمكاني) غير محدد قابل للافتراض والتأويل لكل الأمكنة في متون الأزمنة غير المحددة.

هذا الانفتاح يقترح إمكانية حدوث للواقعة في أي(زمكانية) عند تكامل أدوارها الدرامية

٢ــ وضع المكان:

من حيث الأين نجد المكان المطروح ضمن رؤية فوقية ترى الأشياء بمستوى فوقي,باستثناء الشخص المهيمن والمواجه لسطح الصورة,على الجانب الأيمن. تم توزيع المكونات الفاعلة في العمل بتماثل مكاني(يمين -يسار) من خلال تقابل الأشكال والكتل ألقائمه بالفعل التكوين دراميا.وأرسل الفنان مسارا ضوئيا من الشمس باتجاه الرأس المقطوع لينقل مستوى الفعل نحو الأعلى ,حيث

الشمس أصبحت الشاهد السماوي (للظمأ والذبح) والشمس هنا بوصفها علامة ايقونية تنفتح سيميائيا بعيدا عن

المرجع والمشار اليه ولتكون علامة رمزية

٣ــ نوع المكان :ارض مفتوحة ،ارض بيضاء لا طائل لحدودها فهي أفق لا نهائي ،لا يتحدد بنقطة تتلاشى فيها الخطوط ،ارض مسطحة,تسهم في تعزيز بنية التكوين المسطح,وهنا تتلمس (التسطيح)الإسلامي,في المنمنمات(الو اسطي)فالكتل تتحرك هنا وهناك تشكل مواقعها لتجعل الفضاءات المحيطة بها عبارة عن مستويات (بونية),أحيانا لاحتدام الصراع والمواجهة

٤ــ حالة المكان:مزدحم في مواقع التكتل والتي تتطلب إثراء الوجود الشيئي ,وتعزيز الطابع المادي من حيث قسوة الخطوط وحدة الألوان الداكنة ,يقف بالضد منه الفراغ المفتوح للأرضية البيضاء ' وهذا يعزز الطابع الدرامي

والذي يتواشج مع طبيعة (الفكرة) الركيزة أو المهيمنة.

٥ــ عناصر المكان : يرفدنا العمل بأشـــيائه التي يحتويها , (الفرسان , الخيول , النساء , الخيام ,سيوف, الدماء المباحة , الشمس ,وإشعاعها),وتلك هي عناصر الواقعة (علاماتها) وأدواتها الفاعلة بـكل مسـتوياتها اليقونية والشـارية , والرمزية ,وما تمت بـه من صلة واقعية من حيث ارتباطها بالمرجع بحـملتها الدلالية , ورمزيا من خلال انفتاح العلامات تاوليا.

إما نمط التمثيل المكاني , فقـد اعتمد الفنان التسـطيح بوصفه نسقا جماليا يمت بصلات رحبة بـمرجعيات الصورة الأسلامية والشرقية .فنشر الشكال ضمن نطاق فضائي غير محدد تشـكله ارضية العمل,وكأنه رقـش اسلامي (الوحدات الموجبـة) لتتحـرك فوق أرضيتها السالبة ,لتعزيز قيمتها الجمالية معا.

فالكتل الغامقة – القاسية تهيء فرصة حقيقـية لتكامل الرضية البكر – نقائها من خلال الجدل اللوني.

يشكل الجسد النساني للشخص –حامل السـيف والذي يحيلنا الى سيف (ذو الفقار) وحسب العلامة التداولبـة عرفيا

عنصر هيمنة وسيادة وهو يحاول تعطيل فعالية السيف بمحاولة كسره احتجاجا . وتتباين الشـخيصات تبـاعا (قاطع الراس, الجسد المسجى , الفرسان , الشخصيات الخرى).

وهذه السمة الجمالية في خلق تباين في الحـجوم بـين الشخصيات لها اصولها الفنية العراقـية القـديمة, وفي الحضارات القديمة الخرى بعدها وسـيلة تمثيل مكاني واعتباري –(نسبة اعتبـارية)اذ يتم معالجة المكان من خلال مكانة المكين.

بالأضافة إلى التراكب عمد الفنان إلى استخدام التفاصيل المتناقصة ليعطي مساحة كافية للأرتداد او العمق.

إن آلية التمثيل المكاني توجد او تبتدع نسيج العمل الفني ضمن بنية فضائية (إمكانية) إسلامية الطابع –هذا يجعل العمل يقترح نمط المكان الحدسي , الصوفي , متجاوزا النمط الحسي بواقـعيته , والنمط الهندسـي المسـرف عقلانية.

ان الزمن متكثفا في ثنايا الواقعة الفنية من خلال عناصر المكان وأشياؤه (الأزياء , الخيول , السيوف, الخيام) والتي تحفل بتاريخانية تمت بصلة واضحـة للحـدث وزمنه ؛بالرغم من انفتاح الزمان خارج حـدود التاريخ والتوثيق

من خلال (الشـمس) بـوصفها علامة مشـفرة (سماوية)تمارس ديمومتها.

كيف مارس الفراغ (الفضاء) هويته في هذا العمل ؟

إن الفنان تجاوز آلية الأشـتغال بـالفضاء المتداخل أو المتدرج ,كما في عمله (إنسـان داخل مكعب)والذي عرض

في معرضه الشـخصي في لندن(١٩٨٤) بتقـصيه الدخول إلى الأعماق الذاتية ,أي بتقصي داخل الداخل.

فالفضاء في هذه الرائعة إسـتجاب لمعطيات تكوينية تتعامل مع اللانهائي وفق بـنية تسـطيح إذ تفترش المفردات أحيا زها ضمن الفضاء اللامحدود,بعيدا عن نقطة التلاشي المركزية , وقواعد المنظور الخطي.

إن البنية الفضائية ساهمت في بلورة المعنى او الفكرة التصويرية ,فالبنية (الفراغية) عالجت المرئي بواسطة المسافة او الأحياز الفاصلة بـين عناصر الصراع. إن المسافات الفاصلة تحدد علاقـة مكانية (بـونية)ضمن سياق الشفرة الثقافية والدينية ؛فالمسافة الفاصلة بـين اليد التي تحمل الرأس والجسد المسجى –هي المسـافة ذاتها بين القربان والقاتل.